قراءَةٌ جَماليَّةٌ في ديوانِ (صَرْخةُ ميلادٍ) للشَّاعِرِ السُّودانيِّ صالحِ سَنُوسِيِّ مَحمَّدِ عَليٍّ

نورُ الدِّينِ عبدُ الرَّحْمَنِ عَليُّ حُسيْنُ

مقدِّمةٌ

بسم الله الذي خلقَنا على أكْملِ صورةٍ تستوجبُ حمدَهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على منْ لا نبيَ بعدَهُ، سيِّدنا محمدٍ الصَّادقِ الأمينِ، وعلى آلهِ وصحْبِه أجْمَعينَ، وبَعْدُ.

عنْدَما تَصَفَّحْتُ ديوَانَ (صَرْخَةُ ميلاد) للشَّاعرِ السُّودانيِّ صالحِ سَنُوسيَّ لمْ يَخْطُرْ ببالي أنَّني مَوْعُودٌ بالكتابَة عَنْهُ، إذْ إنَّني لَمْ أَسْمَعْ بِه، لَكنَّهُ اسْتَطاعَ أنْ يَسْتَرْعي انْتباهي منْ أُولَى قَصَائدِه، فوَجَدْتُ نَفْسي أمامَ شاعرٍ مُجيد، في كُلِّ ضُرُوبِ الشِّعْرِ ويَمْتازُ بدِقَّة التَّصْويرِ ورَوْعَة الأَخْيلَة والصُّوَرِ، وهُو كما سَنَرَى منْ أنْصارِ التَّجْديد.

قَرَأْتُ الدِّيوانَ بتأَمل وأناة ولم أتسرَّعْ في الحُكْم، وَأعدْتُ قراءَتَهُ مرةً ثانيةً وثالثةً ثمَّ جلستُ لأُدوِّنَ بعضَ ما عنَّ لي، وكُلُّ عشاق الحَرْفِ الأَخْضَرِ يَعْلَمُونَ أنَّ الشِّعْرَ مَعْنىً ومَبْنىً، وما بَيْنَ المَعْنَى والمَبْنَى والأَخْيلَة والصُّوَرِ والأُسْلُوبِ تَتَجَلَّى شاعريَّةُ الشاعر.

يتسمُ الشعر عندَ صالح بالإحساس العالي، والموسيقي الرنَّانة وعاطفيتُه الزائدةُ، وأشدُّ خواصه ظهوراً الوزن والقافية، وكلماته المنتقاة غير المبتذلة، وصورُه الجماليةُ، وتراكيبه التي تتساق في حريَّة تقديماً وتأخيراً، وجَدة الصُّور، والإيجاز والقصد.

لفتَ نظري اقتباسُه من القرآنِ بإشارات واضحة، مثلُ قوله في (موسم الحرق النبيل):

إذْ أنَّني ما كنتُ يوسُفَ في الجمال
ولست من بين اللَّالي قطَّعنَ أيديهُنَّ إكباراً لوجه أوْ لجيدْ

كما أثارَ انتباهي تعامله مع البلاغة بصورة عامة والبديع بصورة خاصة، وبالذات في الجناس والطباق، مثلُ قوله في قصيدة (بائعةُ الورد) مجانساً بينَ عبير والعبير:

إسمي عبيرٌ والعبيرُ يحُفُّني
إنَّ البراعمَ فرحةُ الأَحزانِ

والطِّباقُ مثلُ قوله في قصيدة (حمامةٌ):

والليلُ أرخَى في الكتوف سدولَه
والصُبحُ أبلجُ في مُحَيَّاً سافرِ

والاستعارةُ مثلُ قوله في نفس القصيدة:

وردتْ نميرَ الماء تشربُ ظبيةٌ
تنسابُ هوناً كالسَّحابَ الماطرِ

وجدتُ أنَّ هذا الديوانَ يحتاجُ للكثير من الجهدَ وإنَّ هذه الوريقات التي بين أيديكم لا ولم ولن تفيه حقَّه، وعليه فقدْ حاولت الاختصارَ بقدرِ الإمكانِ، وذلك بتقديم عرض مختصر لبعض قصائد الديوان، وتحديدُ بحورِ وتفاعيلَ القصائد، وبيان بعضَ صورها البلاغية، مع قليل من المقاربات.

وفي الختام لكم جزيلُ الشُّكرِ والتَّقديرِ على اهتمامكم بلغة القرآنِ ولإتاحتكم لي هذه السانحة والله وليُّ التوفيق.

حَياةُ الشَّاعر:

دوُلدَ صالحُ سنوسيُّ محمدُ عليٌّ بمَدينَة القَضارف بولايَة القَضارف بشَرْق السُّودانِ في عام ١٩٥٢م، تَلَقَّى تَعْليمه مِنْ المَدْرَسَة الأَوَّليَّة حَتَّى الجامعَة بمَدينَة القضارف، حَيْثُ نالَ دَرَجَة بَكالَرْيوس التَّرْبيَة في اللُّغَة الإنْجليزيَّة مَرْتَبَة الشَّرَف مِنْ جامعَة القَضارف – الدَّفْعَة السَّادسَة – وذلك في عام ٢٠٠٦.

دبَعْد تَخَرُّجَهُ عَملَ مُعَلِّماً بكُلِّ المَراحِلِ التَّعْليميَّة بولايَة القَضارف، حَيْثُ قامَ بتَنْفيذ عُدَّة دَوْرات في مادَّة اللُّغَة الإنْجليزيَّة مُخاطَبَةً وعامَّةً، كَما قامَ بتَدْريب المُعَلِّمينَ عَلَى التَّدْريس مادَّةً ولُغَةً.

دعَملَ أميناً لأمانَة الثَّقافَة بولايَة القَضارف، كَما شَغَلَ مَنْصبَ رَئيس اتِّحاد

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الأُدَباء والكُتَّاب بالولايَة.

انْتُدِبَ إلَى الجَمْهُورِيَّة اليَمَنِيَّة مُعَلِّماً.

تَمَّ تَكْرِيمه بِمَنْحه دَوْرَةً صَيْفِيَّةً بِأَدَنْبَرَه في بريطانْيا، وذَلِكَ في عام ١٩٨٨م، كما تَمَّ مَنْحه وِسَام الابْدَاع مِنْ وِلايَة القَضارِف في عام ٢٠١٤م.

يَكْتُبُ الشِّعْرَ بكلِّ أنواعه وأغراضه، باللُّغَتَيْن العَرَبِيَّة والإنْجليزيَّة، وقدْ صدرَ له ديوَانا (قشورٌ) و (صرخةُ ميلاد) ولَهُ ديوَانٌ (عصافيرٌ) تحت الطَّبْع، كما تَغَنَّى عددٌ من الفَنَّانينَ بِكَثِير قَصائده.

أُحيلَ للمعاش، وما زالَ يعيشُ في مدينة القضارف.

بعدَ هذه المُقَدِّمَة المُقْتَضَبَة والنُّبْذَة الَّتي أَحْسَبُ أَنَّها وافيَةٌ، أَدْعُوكُم لِجَوْلَة سِيَاحِيَّة داخِلَ هَذَا الدِّيوَانِ فَهَلَّا تَفَضَّلْتُمْ مَعِي.

قراءةٌ جماليَّةٌ في ديوان (صرخة ميلاد) للشَّاعر صالح سَنُوسِيّ:

عِنْدَما وَقَعَ بَصَري عَلَى ديوان (صرخةُ ميلاد) اسْتَوْقَفَني العُنْوَانُ كثيراً، وحاولتُ الغَوْصَ داخِلَهُ كَيْ اسْتَجْلي كُنْهَ وماهيَّةَ هَذِه الصَّرْخَة، هَلْ هِيَ مَوْلِدُ قصيدة أو ديوان أو شاعر أو... أو...، ومعلومٌ أنَّ العُنْوَانَ يُؤَدِّي دَوْراً كَبيراً في نجاح أيِّ مطبوعة، وأحسبُ أنَّ الشَّاعرَ قد نجحَ في اختيار العنوان، وهذه الصرخةُ نجدُها في قصيدتيه (بينَ الصَّرخة والميلاد) و(القابلةُ) ولي عودةٌ والعودُ أحمدُ.

يَنْتَمي الشَّاعرُ السَّنُوسيُّ للمَدْرَسَة الوَاقعيَّة المَمْزُوجَة بِبَعْض الرُّومانْسيَّة، وتِلْكَ هِيَ السِّمَةُ الغالِبَةُ عَلَى شِعْر الدِّيوان، والكتابَةُ الوَاقعيَّةُ لَنْ تَسْتَطيعَ أنْ تَهْزَّ شَعْرَةً في رَأْسِ قارئٍ أوْ مُسْتَمِع، ما لَمْ يَكُنْ الشَّاعرُ مُتَمَكِّناً من أَدَوَاته ؛ أمَّا أُسْلُوبُ الشَّاعر فهُوَ السَّهْلُ المُمْتَنِعُ، وما أَدْراكَ ما السَّهْلُ المُمْتَنِعُ، إنَّهُ الأُسْلُوبُ الَّذي يَشُدُّكَ ويُدْهشُكَ بِسَلاسَته وبَسَاطَته الَّتي تَصِلُ دَرَجَةَ الامْتاع.

يَحْوي الدِّيوانُ ثلاث وعشْرينَ قصيدةً عموديَّةٌ، تسعُ عشرةَ منْها منْ ضُرُوب بحر االكَامل، واثْنَتان منْ بحر البَّسيط، وقصيدةٌ يتيمةٌ تُعدُّ من بحر الوَافر، وست وعشرونَ قصيدةً من الشعر المُرْسَل، تَتَراوَحُ تفاعيلُها ما بيْنَ متَفاعلُنْ مُفاعَلَتُنْ وفَعِلُنْ وتتنوَّعُ أغراضُهُ بَيْنَ الغَزَل، الرَّثاء، الجهاد، المَدْح، الهجاء، الطَّبيعة، والشِّعْرالوَطَنيِّ.

نجدُ أَنَّ شاعرَنا قَدْ امْتازَ بلُغَته الخَاصَّة وأُسْلُوبه المُتَفرِّد، ولَنْ أُبالغَ إذا قُلْتُ إنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ منْ مَرْتبَةَ الطَّائِيَّيْن، حَبيبُ بنُ أَوْس الطَّائيُّ المَعْرُوفُ بأَبي تَمَّام وأبوعُبادَة الوَليدُ بنُ عُبَيْد المشْهورُ بالبُحْتُريِّ، فقَدْ أَوْصَلَهُ علْمُهُ الوَاسعُ، وتَمَكُّنُهُ منْ لُغَة الضَّاد أَنْ يَتَعامَلَ مَعَ علْم البَّديع منْ جناس وطباق وتَجْسيم وتَشْخيص وتَدْبيج ومشاكلة، بأُسْلُوبه الشَّائق الَّذي يُضارعُ أُسْلُوبَ أَبي تَمَّام، وهُوَ يُجيدُ التَّشْبيهَ والاسْتعارَةَ والتَّوْريَةَ والتَّقديمَ والتَّأْخيرَ وكلَّ وضُرُوب البَّلاغة، عَلاوَةً على إجادَته التَّصْويرَ بدرجة كبيرة، وحتَّى لا يتهمُني البعضُ بالغُلُوِّ والمُحاباة، حاولتُ منْ خلال بحْثي المُتواضع هَذا أنْ أُلْقي الضَّوءَ عَلى شاعريَّته، وذَلكَ منْ خلال عَرْض مُخْتَصَر، وإجْراءُ مُقارَبات بَيْنَ بَعْض صُوَره وصُوَر بَعْض قدامَى الشُّعَراء، والتَّحَدُّثُ عَن الصُّوَر البَلاغيَّة في شعْره، ومَدَى الْتزامه بالعَرُوض، إذ وجدتُ أنَّ التَّعَمُّقَ في هَذَا الدِّيوانَ قَدْ يحتاجُ لمجلَّدات، وعليه فقدْ اكتفيْتُ ببَعْض الأَبْيات منْ كُلِّ قَصيدَة حتَّى تَتَّضحُ الصُّورةُ أَمامَكُمْ.

كلُّ قصائد الدِّيوان - والَّتي بَلَغَ عددُها تسع وأربعُونَ قصيدةً - بها ما بها من ألْوَان البَّلاغة وجَمال الصُّوَر، ولنَتَأَمَّلْ مَعاً هَذه الصُّوَرَ البلاغيَّةَ والجماليَّةَ، ولنَمْض قُدُمَاً في تَصَفُّح هّذَا الديوَان ولنَبْقَ معَ قَصيدَة (بَيْنَ الصَّرْخَة والميلاد)، والتي يقولُ فيها:

ما بَيْنَ الصَّرْخَة والميلاد تَوَقَّفَ نَبْضُ الحُبِّ وضَمَّ الرُّوحَ سماءْ١ فجَنينُكَ في كشْف الأَحْياءْ قَدْ جَسَّدُ تاريخَ الغَزْوات وحَرْبَ الرِّدَّة حينَ تَغَلَّبَت الأَهْواءْ ما بيْنَ الصَّرْخَة والميلاد تَدُورُ رُحَى (داحسَ) تشْتَدُّ بوَطْأَتها (الغَبْراءْ) يا لَكَ منْ بَطَل في المَهْد منْ حَوْلَكَ يصطَرخُ الأَعداءْ هذا المَقْطَعُ منْ قصيدَة بيْنَ الصَّرْخَة والميلاد، والتي اسْتَوْحَيْ منها اسم الدِّيوان، وتفعيلتُها فَعِلُنْ، وإنْ كانَ هُناك بعضَ الخُرُوج عنْ القَاعدة بتحريك ساكن، (دَاحسَ) وَزْنُها فَعْلنْ إذ حَرَّكَ حَرْفَ السِّين ممَّا تسَبَّبَ في ثقَل على اللِّسان - وذلكَ خارجُ رُخْصَة الزِّحاف - والصورةُ في البَيْت الأَوَّل تَشْتَملُ على طباق مُرَكَّب بَيْنَ الحياة والمَوْت، وهذه الصَّرخةُ تَوَقٌ لفجْر جديد، وأَحْسَبُ أَنَّها معالجةٌ لكثير ممَّا يَدُورُ خلْفَ الكَواليس في أَرْجاء الوَطَن العَرَبيِّ، يحاولُ منْ خلالها أَنْ يعيدَ إلى الأذهان آثارَ حُرُوب داحسَ والغَبْراءَ والبَسُوس والرِّدَّة منْ باب التَّذْكرَة والاعتبار.

انْظُرْ لبَراعة الاسْتهْلال ورَوْعَة الصُّورة في قصيدة (حمامةٌ) - وهيَ منْ بحْر الكَامل - إذ بدأَ باسْتعارة الظَّبية ليُطْلقَها عَلَى محبوبته حينَ قالَ:

وَرَدَتْ نَميرَ المَاء تَشْرَبُ ظَبْيَةٌ
تَنْسَابُ هَوْناً كَالسَّحاب المَاطِر٢

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

طَرِبَتْ لِرِقَّتِها اللُّحُونُ وَدَنْدَنَتْ
فيها النَّسائمُ باللَّطيفِ العاطِرِ

هذه الصُّورةُ آيةٌ في الحُسْنِ والجَمالِ، وأَحْسَبُ أنَّ كاميرا أعظم مُصَوِّرٍ وريشةَ أَشْهَرِ رسام تعجزان عن تصويرها، وكأنَّ الشاعرَ يجيبُ على تساؤلِ عنترةَ حين قالَ:- (هل غادرَ الشُّعراءُ مِنْ متردَّم ٣)، إذ ها هُوَ يأتي بعدَ أكثرَ من أربعة عشرَ قرناً من الزَّمانِ ليأتي بما لَمْ تستطعْهُ الأوائلُ، ممَّنْ سبقوه من آلافٍ بَلْ ملايين الشُّعراء، فهُوَ لَمْ يُسرفْ في غَرابَةِ الصُّورَةِ كَغَيْرِه، ولم يتكئْ على نوافرِ الأضداد، رغم كثرة استعماله للطِّباقِ المُرَكَّبِ والتَّدبيجِ وطَرافَةِ الصُّورِ وجِدَّةِ الأسلوب.

عندما قَرَأْنا قَوْلَ مَيْمُونِ بنِ قيس بنِ جَنْدَلٍ والمَعْرُوفِ بالأعشَى في لاميَّتِه المَشْهُورَة:

غَرَّاءُ فَرْعاءُ مَصْقُولٌ عوارضُها
تَمْشي الهُوَيْنَى كما يَمْشي الوَجِي الوَحِلِ٤
كَأَنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها
مَرُّ السَّحابَةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ
يَكادُ يَصْرَعُها لَوْ لا تَشَدُّدُها
إذا تَقُومُ إلَى جاراتِها الكَسَلُ
هَرْكَوْلَةٌ فَنِقٌ دُرْمٌ مَرافِقُها
كَأَنَّ أَخْمَصَها بالشَّوْكِ مُنْتَعِلُ

كُنَّا نَحْسَبُهُ قد بَلَغَ المُنْتَهَى في دقَّةِ الوَصْفِ، ولَمْ يَتْرُكْ لشاعرٍ ما يَقُولُهُ، إذ جَسَّدَ لنا محبوبَتَهُ بلَحْمِها وشَحْمِها، و(يَكادُ يَصْرَعُها الكَسَلُ) وهيَ (تمشي الهُوَيْنَى كما يمْشي الوَجِي الوَحِلُ)، كُلُّ ذَلكَ اختَصَرَهُ السَّنُوسيُّ في عجزِ المَطْلَعِ، وتَرَكَ البَقيَّةَ لخَيالِ القَارِئِ، فانظرْ لهذه الصُّورةِ الزَّاهية، وهذه المشية التي تُشْبِهُ السَّحابَ الماطرَ، وكما هو معلومٌ فإنَّ السَّحابةَ المُمْطرةَ بطيئةُ الحَركةِ لأنَّها محملةٌ بالمياه، ثمَّ تأملْ البَيْتَ الذي يليه، وما به من تشخيص وتجسيم وجِدَّة في الصُّوَرِ والأُسْلُوب، إذْ من الطَّبيعيِّ أنْ يؤثِّرَ اللَّحنُ في الكائنِ الحَيِّ، وقد تختلفُ درجتُهُ من كائنٍ لآخر، أمَّا أنْ يَطْرَبَ اللَّحنُ لرقة هذه الحَبيبة وجمالها، وأنْ تدندنَ النَّسائمُ، وبماذا تدندنُ !!! باللَّطيف العَاطرِ المُشبَّعِ بأريج الزَّهْرِ !، فهذا هُوَ التَّشخيصُ والتَّجسيمُ والجِدَّةُ وقمةُ الرَّوْعة، وهذه هيَ الشَّاعريةُ الحَقَّةُ، وهذا هُوَ صالحُ السَّنوسيُّ.

حينما نقرأُ:

واللَّيْلُ أرخَى في الكُثُوفِ سدولَهُ
والصُّبْحُ أبلجُ في محيَّا سافرِ

يتبادرُ إلَى أذهاننا قولُ امرئ القَيس:- (وليلٍ كموجِ البَحرِ أرخَى سدولَهُ....٥)، ولا أُنْكِرُ أنَّه قد اقتبسَ الصُّورةَ من امرئ القَيس، ولكنَّهُ أخرجَها لنا بصورة مغايرة، ومن حقِّ أيِّ شاعر فعلَ ذلك، بشرط أنْ يضعَ عليها بصمتَهُ الخَاصَّةَ، وكانَ هذا شأنَ شاعرنا، وأَحْسَبُ أنَّهُ قدْ تفوَّقَ على امرئ القَيْس، فلَيْلُ امرئ القَيْس هو اللَّيْلُ وإنْ شبَّهَهُ بموج البَحر في امتداده ومخاطره، وهذا تشبيهٌ مُرْسَلٌ إذْ ذَكَرَ أداةَ التَّشْبيه، ومُجْمَلٌ لأنَّه حذفَ وجهَ الشَّبه، ولَيْلُ السَّنوسيِّ هُوَ شَعْرُ الحَبيبة وهُوَ تشبيهٌ مؤكَّدٌ إذْ حذفَ أداةَ التَّشبيه، وصارَ بليغاً بعدما حذفَ وجهَ الشَّبه، هذا ما كانَ منْ شأنِ صدرِ البَيْت، ولننظرْ الآنَ إلى العَجْز، فعجزُ بَيْتِ امرئ القَيْس في رَأْيي حشوٌ لحفظ القَافية وهُوَ تقريريٌّ، أمَّا صالحٌ فقدْ أجْرَى طباقَيْن، وذلكَ بينَ صدرِ وعجزِ البيْت، وذلكَ بينَ اللَّيْلِ والصُّبح والشَّعْرِ والمُحيَّا ويا له من تصوير.

ويستمرُّ في الوَصْفِ ويَقُولُ:

شَرِبَتْ زُلالاً ما تبلَّلَ ثوبُها
شُرْبَ الشَّكوكِ المُطْمئنِ الحَاذِرِ

هذا البَيْتُ يسوقُني إلى البُحْتريِّ وسينيته المَشْهُورة حينَ قالَ:

وبعيدٌ ما بين وارد رفه
عللٌ شُرْبُهُ ووَارَد خمْس٦

عُرِفَ البُحْتريُّ بإجادته التَّصْويرَ فأبدعَ أيُّما إبداع، أمَّا صالحٌ فقدْ أبدعَ وأمتعَ، فبرغم اختلاف المَشْرَبَيْن - إذ وردَ البُحْتريُّ مَشَارِبَ أعْظَمِ الخُلَفاء ووردتْ حبيبةُ صالح نميرَ المَاء - يظلُّ الظَّمأُ هُوَ الظَّمأُ، والشُّرْبُ هُوَ الشُّرْبُ، ولكنَّ التَّعْبيرَ قدْ اختلفَ واختلفتْ معهُ رَوْعةُ ودِقَّةُ الصُّورة، إذ زانَ الصُّورةَ عندَ صالح سنوسيَّ استعمالُ نوافرِ الأضْداد الشُّكُوكَ... المُطْمَئِنَ.. الحَاذرَ، فاختيارُ المُفْردة يُؤَدِّي دوراً كَبيراً في التَّأْثير على المُتلقِّي.

يقودُني ذلكَ إلى الحَديث عن الأُسْلُوب والأَخْيلَة والصُّوَر عندَ الشُّعراء العَبَّاسيين وصالح، فالشُّعراءُ العَبَّاسيُّونَ قدْ أَخَذُوا معظمَ صُوَرِهم من بيئَات مختلفة، فقدْ أَخذُوا من الفَلْسَفَة اليُونانيَّة ما أَخَذُوا، ومزجُوها بحضارة الفُرْس، وبيئَتِهم العَربيَّة، وغَيْرِها منْ الحَضارات التي استطاعتْ أنْ تجدَ لنفسها موطأَ قدم في بغدادَ وما حَوْلَها، وتَلَقَّفَها الأُدباءُ بنهمٍ شديد، أما السَّنُوسيُّ فقدْ وظَّفَ بيئَةَ القَضَارف خاصَّةً، والسُّودان بصفة عامَّة في شعْرِه، وهذه ميزَةٌ تُحْسَبُ لَهُ ؛ وأُسْلُوبُه كَما أَسلفْتُ السَّهْلُ المُمْتنعُ، ولا يلجَأُ للتَّعْقيد إلَّا نادراً، ويَمْتازُ شِعْرُهُ بالوُضُوح، بالرَّغم منْ استعْماله للجناس والطِّباق المُرَكَّبَيْن.

(لن تكوني) قصيدةٌ من الشِّعْر الحُرِّ وتفْعيلَتُها (فاعلاتُنْ) يقولُ فيها:

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

في انْتظارك أنْ تكُوني٧
قَيْدَ حَبْسي في جُنُوني
أوْ نَشازاً في لُحُوني
إنَّ قَلْبي لا يُبالي كُلَّ وَيْلات الطُّعُون

إذا تأمَّلْنا الأبْيات السَّابقَةَ نجدُ أنَّ الحَبيبَةَ لَنْ تكُونَ قَيْداً، ولا يُمْكنُ أنْ تُصْبحَ نَشازاً في لحن، إذاً الشَّاعرُ حينما قالَ: أنْ تكُوني قَيْدَ حَبْسي... ونشازاً... كانَ يَقْصدُ حُبَّ الحبيبَة، وهذا مجازٌ مُرْسَلٌ، باعْتبار ما يكونُ.

الحَديثُ عن البيئَة ذو شُجُون، وشاعرُنا كما ذكرتُ في سيرته الذَّاتيَّة منْ ولاية القَصارف، والتي تقعُ في شَرْق السُّودان وتمتازُ بالأمطار الغَزيرة، وهذا الجَوُّ الخَريفيُّ المُلْهمُ يَبْدُو واضحاً للعَيان في عدد لا يُسْتَهانُ به من قصائد هذا الدِّيوان، وهذه قصيدةُ سحابة تقفُ شاهدةً على ذلكَ، وهي أيْضاً منْ بحْر الكَامل، ولنقرأ معاً بعضَ أبْيَاتها والتي يبْدؤُها قائلاً:

وأسيرةُ البَرْقَيْن جَمْرٌ تحْتَها
والجَوْفُ يغْلي والحَوافُ نُدُوبُ٨
والشَّمسُ كاسفَةٌ تَعَفَّرَ ثَوْبُها
والوَجْهُ مُحْمَرٌ عَلاهُ شُحُوبُ
خَجَلاً تَلُوذُ وما السَّحابُ بحاجب
خَفَراً تَكَشَّفَ بالشُّكُوكِ مَشُوبُ

وَلَعُ السَّنُوسيِّ بالتَّصْوير وشَغَفُهُ بالتَّجْسيم ظَلاَّ حاضرَيْن، وهَذه الأبْياتُ تَشْهَدُ عَلَى صدْق كَلامي، ولكنْ قَبْلَ ذلكَ دَعُونا نتَعَمَّقُ قليلاً، ونُبْحرُ في ما تحويه هذه الأبياتُ من معانٍ وصُوَرٍ بلاغيَّة، فقدْ شبَّهَ الشَّاعرُ في البَيْت الأوَّل البَرْقَيْن وهما الرَّعْدُ والبَرْقُ بالحَبْس بجامع الإمْساك في كُل، ثُمَّ حَذَفَ المُشبَّهَ به ورَمَزَ إلَيْه بشَيْ منْ لوازمه وهُوَ الأسْرُ، وهذه استعارةٌ مكنيَّةٌ أَصْليَّةٌ، كما شبَّهَ سعطشَ الأرض بالجَمْر، وهُوَ تشْبيهٌ بليغٌ، ثُمَّ عادَ ليُطْنبَ في وصف السَّحابة وجَوْفها الذي باتَ يغلي من شدَّة الشَّوْق إلى مُعانقَة الأرْض، ممَّا أدَّى إلى ارتفاع درجة حرارة السَّحابة، الذي أدَّى إلى انهمار الأمْطار وهذه لعَمْري نظرةٌ فلسفيَّةٌ. في البَيْت الثَّاني نَجدُهُ قدْ شبَّهَ الشَّمسَ عندَ الغُرُوب وهيَ تتوارَى خلفَ السَّحاب، بالفَتاة التي دَفَعَها الحَياءُ للاخْتباء خَلْفَ ساتر شَفَّاف لمْ يحجبْ احْمرارَ وجْهها الذي غطَّاهُ الشُّحُوبُ، وهذه استعارةٌ مكنيَّةٌ. في البَيْت الثَّالث إطْنابٌ وإيضاح وتذييل واحتراس، فهُوَ إيضاحٌ لتَثْبيت المَعْنَى في ذهن السَّامع، وتَذْييلٌ لاشتماله على معنى البَيْت السَّابق، واحتراسٌ حتى لا يحدثُ لبسٌ في فهم المَقْصُود لَدَى المُتَلَقِّي.

ويَسْتَرْسلُ في الوَصْف فيقُولُ:

خطرتْ تأرْجحُ رَحْلَها في متنها
ويسوقُها صوبَ الشَّمال جنوبُ
وتمنَّعتْ في السَّيْر قدَّ قميصُها
جادتْ بحُلْو القَطْر منْهُ ثقوبُ
لمعتْ بوارقُ ليلها في صبحها
هتفتْ ضواحكُ أنجم وقطوبُ

تأملْ هذه السحابةَ وهي تتأرْجَحُ في سمائها كالفَتاة اللَّعُوب، والرِّياحُ الجَنُوبيةُ تدفعُها صوبَ الشَّمال، وهي تتمنَّعُ حتَّى قُدَّ قميصُها مما تسببَ في هطول الأمطار، وهذه استعارةٌ مكنيَّةٌ أصْليَّةٌ إذ شبَّهَ السَّحابةَ بالفَتاة، وذلكَ بجامع الغَنَج والدَّلال في كُلٍّ، ثُمَّ حذفَ المُشبَّهَ به ورمزَ له بشئ من لوازمه وهوَ خطرتْ وتمنَّعتْ، كما نُلاحظُ الطِّباقَ بَيْنَ الشَّمال والجَنُوب ؛ وفي البَيْت الثَّاني نَرَى إشارةً واضحةً لقصة يوسُفَ عليه السَّلامُ معَ زُلَيْخَة زوجة العزيز، وقدْ وظَّفها بطريقة تثيرُ الدَّهشةَ، وذَلكَ يُعدُّ اقْتباساً، أمَّا في البَيْت الذي يليه فقدْ انغمسَ في البَديع، إذ جاءَ بطباقيْن ما بيْنَ بوارق اللَّيل والصُّبْح، والنُّجُوم الضَّواحك والقُطُوب.

الإشَارَةُ لقَصَص القُرْآن تَكَرَّرَتْ في عَدَد منَ القَصَائد، فَقَدْ لاحَظْتُ أنَّ هَذَا الشَّاعرَ لا يَميلُ للاقْتباس منَ القُرْآن بصُورَة مُباشرَة، بَلْ يكتَفي بالإشارة والتلْميح وعَلَى سَبيل المثال لا الحَصْر في رائعَته (مُوسمُ الحَرْق النَّبيل) بيتٌ يقولُ:

إذْ أنَّني ما كُنْتُ يُوسُفَ في الجَمال
ولَسْت منْ بَعْض الأُلي قَطَّعْنَ أيْديهُنَّ إكْباراً لوَجْه أوْ لجيدْ٩

قَصيدَدَةُ (الكُوبْرَا) منَ الشِّعْر الحُرّ، وتَفْعيلَتُها (فاعلاتُنْ)، يخْتَتمُها قائلاً:

نَصْريني... هَوِّديني١٠
ذَوِّبيني في جمالكْ...
إنَّني ما عُدْتُ إلاَّ رَسْمَ طَيْف في خَيالكْ...
جَوْزَ نَعْل تشْتَريني
اعْذريني
إنَّ للكُوبْرَا صَليلاً مثْلما يَأْتي لسانُك...
لَمْ يَعُدْ هَذا مَكانُك...
فارْحَلي فوْراً لشَأْنك واتْرُكيني.... في عَريني

هذا مجازٌ مرسلٌ علاقَتُه المَسَبَّبيَّةُ، إذْ أنَّ غُرُورَها وتَكَبُّرَها هو الذي جَعلَها تتَخَيَّلُ ذَلكَ، أمَّا تشْبيه فحيحَ الكُوبْرا بصوت المخاطبة فهُوَ تشْبيهٌ مقلوبٌ، واتركيني في عريني استعارةٌ مكنيةٌ.

يقولُ في قصيدة (الهَوْدَجُ) والتي من بحر من بحر الكامل:

أضْحَى فُؤادِيَ أُمَّ مُوسَى فارغاً
قَدْ كانَ أفْرَغَ منْ فُؤادك نادرُ١١
إنْ جَدَّ بابٌ للهَوَى أوْصَدْتُه

إنْ جاءَ يَوْماً من قُبَيْلُك زائرُ

نُلاحِظُ هُنا الاقْتباس من القُرآن الكَريم في البيت الأوَّل، في صَدْر البيت الثاني استعارةٌ مَكْنِيَّةٌ، إذ شَبَّه الهَوَى بدار لها بابٌ، وحذف المُشَبَّه به ورمَزَ إليْه بشيءٍ من لوازمه، وهو البابُ، وفي عجز البيت تَصْغيرٌ (قُبَيْلُك).

(أَسَأليني) قصيدةٌ من الشِّعر الحُرِّ وتفعيلتُها (فاعلاتُنْ) يقولُ فيها:

فانْبُشي أَمْسي يَفوحُ الصَّدْقُ في الأَحجارِ عطْرا١٢

واسأَلي كُلَّ السُكارَى قدْ سقَيْتُ النَّاسَ طُهْرا

في البيت الأوَّل استعارةٌ مكنيةٌ، حيثُ شَبَّهَ الأَمْسَ بالمَطْمُورَة، وحذفَ المُشَبَّه به ورمَزَلهُ بشيءٍ من لوازمه وهو النَّبْش، ويفوحُ الصِّدق.... مجازٌ مُرْسَلٌ، فالأَمْرُ هنا للاستخْفاف، فهو مجازٌ أَطلقَ فيه المحلَ وأَرادَ الحالَ، وفي البيت الثاني قد سقيتُ النَّاسَ طُهرا، أَراد أَنْ يقولَ لها إنَّه طاهرٌ وعفيفٌ، وهذه كنايةُ صفَة.

(مهرجانُ الحصادَ) قصيدةٌ عموديَّةٌ من بحر الكامل، يقولُ فيها:

كان الحصادُ وللقضارف عيدُها

ولذي السَّواعد منَّةٌ وعطاءُ١٣

والغيدُ في يوم الحَصاد صَوادحٌ

ويسُودُ أَجْواءَ الدِّيار حُداءُ

فكتائبُ الخَنْساء قُدْنَ لواءَها

وبناتُ خَوْلَةَ في الجهاد لواءُ

كما ذكَرتُ آنفاً إنَّ ولايةَ القضارف تشتهرُ بالزِّراعة، ولموسم الحصاد طعمٌ خاصٌّ، حيثُ تتضافرُ الجهودُ فيه وتصاحبُه مهرجاناتٌ في كُلِّ أَرْجاء الولاية، والقصيدةُ تجسيدٌ لذلك ؛ في البيت الأَخير أَعلاه نجدُ جناساً تامَّاً فكلمةُ لواء الأُولى هي فِرْقةٌ من الجَيْش ولواءُ الثانيةُ بمعنَى علم.

قصيدةُ (رَوْضةُ الحاجِّ) من شعر التَّفعيلة (مُتَفاعِلُنْ) يقولُ فيها:

يا روْضَةً غنَّتْ لنا١٤

يا روْعةً كانتْ هُنا فوقَ الدُّنَى

فَوَّاحةُ الأَزْهار تنضَحُ الأَريج تَعُجُّ بالسَّعْد المُنَى

روضةُ هي الشاعرة السودانيةُ المعروفةُ، كتبها مادحاً، وروضةٌ لها معنيان، معنىً قريبٌ غير مُراد وهو الحديقةُ ذاتَ الشجر، ومعنىً بعيدٌ مرادٌ وهو روضةُ الشَّاعرةُ، وقدْ تلَطَّفَ الشاعرُ فسترَه وورَّى عنه بالمعنى القريب، والقرينةُ المانعةُ من إرادةِ المعنى القريب كلمةُ غَنَّتْ.

الرَّثاءُ منْ أَبْواب الشِّعْر التي وَلَجَها جَلُّ إنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ الشُّعَراء، وأَحْسَبُ أَنَّ شاعرَنا لَهُ في الرِّثاء باعٌ طَويلٌ، حَيْثُ نَكَبَتْهُ الدُّنْيا بفَقْدَ الكَثير منْ الأَحْباب، وهذه قصيدةُ (رثاءُ عائشة جندلة):

قَلْبي تَفَطَّرَ والعَيْنان دَمْعُهُما

يَوْمَ الفراقِ كَباكي المُزْنِ مدْرارُ١٥

إنْ كانَ عُمْري يَفْدي ما بَخلْتُ به

فالمَوْتُ آتٍ وإنَّ القَبْرَ لي دارُ

لَكنَّهُ شَأْنِ رَبِّي قَدْ رَضيْتُ به

واللهُ يَفْعَلُ ما يَرْضَى ويَخْتارُ

حينَ قرأْتُ هذه القصيدةَ عُدتُ بذاكرَتي إلَى رثاءِ الخنساءَ لأَخيها صخروالتي مَطْلَعُها:

قَذىً بعيْنَيْكِ أَمْ بالعَيْنِ عُوَّارُ

أَمْ ذَرَّفَتْ إذْ خَلَتْ منْ أَهلها الدَّارُ١٦

القصيدتان من بحر البسيط، وقَدْ اتَّفقتا في الغرض والرَّويِّ، ومُشَبَّعتان بالحُزن، ولكنْ المعالجَةَ الشِّعريةَ والأُسلوبَ مُخْتَلفان، إذ تَرَكتِ الخنساءَ لعواطفها العَنانَ، وتحكَّمَ الإيمان في مشاعرِ صالح.

يقولُ الشاعرُ في قصيدة (أَخْرُجي) وهي من شعرِ التَّفْعيلة (متفاعلنْ):

يا مَنْ مَلَكْتِ القلْبَ صَيَّرْتِ الحشا كَفَتات

عَصْف مُنْثَر وسطَ الحُطامْ١٧

قلبي تَلَظَّى في غرامك فانْتَشَى في قَيْد حُبِّك مثل محْروم المنامْ

فمُذْ احْتلالك كُلَّ أبواب المَداخل... دونَ تحديد المراحل... ماتَ تاريخُ الرَّحيل وكُلُّ شَرْط للسَّلامْ

(متَى تجيُ) قصيدةٌ من الشِّعر الحُرِّ وتفعيلتُها (مُتَفاعلُنْ)، يقولُ الشَّاعرُ:

الغيثُ أَوَّلُه رَجاءْ١٨

ورجاءُ سيِّدَةُ النِّساءْ

هيَ زينَةُ الأَسماء... مُلهمَةُ المحاسن والمفاتن والضِّياءْ

بينَ رجاء والتي تعني أملاً وبينَ رجاء سيِّدة النِّساء جناسٌ تامٌ، ويبدو خريفُ القضارف حاضراً في ثنايا هذه القصيدة وهذا ما أَشرْتُ إليه آنفاً.

لا بُدَّ أَنْ يَضُوعَ العبيرُ منْ بائعَة الورد، وذلك ما دعا صالحَ لمخاطبتها فردتْ عليه قائلة:

هَذي الوُرُودُ شَقيْتُ أَزْرَعُها هُنا

حتى غَدَتْ كالرُوح للإِنْسان١٩

إسمي عبيرٌ والعبيرُ يحفُني

إنَّ البراعمَ فَرحةُ الأَحزان

هذي الفراشاتُ البريئةُ حارسي

والدُّرُّ لألاءٌ على تيجاني

معلومٌ أَنَّ الشَّوكَ يقومُ مقامَ الحارس للوَرْد، وذلكَ كانَ منْ أَعظم أَسباب شقاء بائعة الوَرد، ولكنَّه شقاءٌ يعقبه فرحٌ غامرٌ، كيفَ لا ومجرَّدُ ظهورِ البراعم يبعثُ في النَّفس ما يبعثُ منْ البهجة، ما بينَ عبير والعبير جناسٌ تامٌ.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

في قصيدة القَابلة وتفعيلتُها فَعُلُنْ، يبدؤُها مخاطباً القَابلةَ لحظةَ ميلاده:

وبكيتُ لشئٍ في نفسي فلماذا سَيِّدتي تبكينْ ؟٢٠
أَلشئ عشعشَ في صَدْرِك أَمْ هيَّجَ دَمْعيَ ما تأبينْ ؟

من منَّا لم يَصْرُخْ لحظةَ ميلاده، ولكنَّنا مرَرْنا على هذه الصَّرْخَة مرورَ الكرام على الكرام، أما شاعرُنا فقدْ وقفَ يتأمَّلُ ليَصِلَ إلى سببِ هذه الصَّرخة ومسبِّبات هذا البُكاء، واستطاعَ أن يُديرَ حواراً ما بينَ مشاعره - كوافد إلى هذا العَالَم الذي يجهلُ عنهُ كلَّ شئ - ومشاعرِ تلْكَ القَابلة التي استقبلَتْهُ بالبُكاء والصُّراخ، وهنا كان لا بدَّ أنْ أُشيرَ إلى تعمُّق الأُستاذ صالح السَّنُوسيَّ في الفَلْسَفَة، وذلك من وَحْي قراءَتي المُتأنِّيَة لهذا الدِّيوان، وهذا ما يقودني إلى أبي تمَّام ووجه الشَّبَه بَيْنَهُما وأَحْسَبُ أَنَّ صالحَ هُوَ (الحُوارُ الذي غَلبَ شَيْخَهُ) كما يقولُ المَثَلُ السُّوداني، ويستمرُ الحوارُ وتَتَوَالَى اللَّوحاتُ والصُّوَرُ إلى أنْ يقولَ:

قَدْ جِئْتُ الدُّنْيا مَعْصُوباً فَصَرَخْتُ وقابلَتي صَرَخَتْ ولعبْنا الحُزْنَ عَلى حَبْلَيْنْ
فأنا رأيي في الأوَّل لا يُقْطَعُ حَبْلُ السُّرَّةْ ورَأَتْ أَنْ يُوْضَعَ لي حَبْلٌ يَرْبطُني مِنْ أَوَّل مَرَّةْ
وأنا مَعْصُوبُ العَيْنَيْنْ
فصرختُ وقابلتي تَصْرُخْ
إذ مسَّ غرورَ تجاربها مولودٌ يأْبَى أَنْ يَرْضَخْ

قَدْ جاءَ هَذَا الطِّفْلُ إلَى الدُّنْيا باك ومَعْصوبَ العَيْنَيْن، شأنُهُ شَأْنَ الأَطْفالِ الآخَرينَ، ولَكِنَّ الغَريبَ في الأَمْرِ أَنَّهُ كانَ يحْمِلُ رَأْياً مُخْتَلفاً عنْ كُلِّ سُكَّانِ هَذَا الكَوْكَب، ولإثْباتِ وجْهَة نَظَرِه أَبَى أَنْ يَنْصاعَ لِطُقُوسِ المِيلادِ الأُولَى، فَهَذِه نظرة فلسفية وتَلَمُّس لسبب صراخ وبكاء القَابلة (إذ مَسَّ غُرُورَ تجاربها مولودٌ يأْبَى أَنْ يَرْضَخْ).

الواقعيَّةُ هيَ المَدْرَسَةُ التي يَكْتُبُ بها شاعرُنا - كما أَسْلَفْتُ - مَمْزُوجَةً بالرَّمْزِيَّة التي تَبْدُو واضحَةً للعَيانِ بَيْنَ الفَيْنَة والأُخْرَى، فنَرَاهُ مُغْرِقاً في الرَّمْزِيَّة - في قَصيدة القابلة - وأَحسَبُ أَنَّ هَذا الميلاد بشارَةَ ببزُوغ فجر جديد.

مِنَ القصائد التي تركتْ في نفسي أَثَراً جميلاً قَصيدَة (مُوسِمُ الحَرْق النَّبيل) والَّتي يَقُولُ فيها:

قَدْ فَتَّقَتْ نارُ الجُنُون مَوَاجِعَ الجُرْحِ الصَّديدْ٢١
سَأُحبُّك الطَّيْفَ الشَّرُودَ ولَيْتَني... انْداحُ مِنْ خَلْفِ الغُيُوم لَعَلَّني...
إنْ لاحَ بارقُ النَّقيك مَعَ الوَميضْ
مُتَلألِئاً عَرْشُ السَّماء جَواهِرٌ مِثْلُ اللُّجَيْنْ
يَضُوعُ في ثَوْبٍ جَديدْ
إذْ أَنَّني كَوْمُ الشَّتات وأَنْت أَنْت وإنَّهُ الفَرْقُ الوحيدْ

فالمُتابعُ لهَذه القَصيدَة الَّتي تَقْطُرُ رَوْعَةً، سَيَجِدُ أَنَّ رَوِيَّها يَتَرَاوَحُ بَيْنَ حرْفَيْ الدَّال والضَّاد، إذْ أَنَّها الطَّبَقُ الشَّهِيُّ الذي يَنِمُّ عنْ ذَوق رفيع في دقَّة التصوير.

الوَطَنُ له القَدْحُ المُعَلَّى عندَ الشَّاعرَ، وها هُوَ صالحُ يُتحفُنا بقصيدة عصماءَ عَنِ السُّودانِ تحْملُ اسمه، وهي مِنْ ضُرُوب بَحْرِ الكَامِل، يستهلُّها بالفَخْرِ والاعْتزاز بالسُّودان قائلاً:

يا مَنْ تطيرُ كما الحمام مُهاجراً وتَميزُ شَدْوَكَ في الدُّجى الأَفْنانُ٢٢
ما إن سُئلْتَ عَنِ البِلادِ عَظيمها فاجْهَرْ بِصَوْتِكَ أَنَّهُ السُّودانُ
وَطَنٌ تَرَصَّعَ بالنُّجُومِ سَماؤُهُ وتُرابُهُ رَهْنَ القُلُوبِ مُصانُ
كَمٌّ مِنَ التَّرْحابِ في جَنَباته في كُلِّ مَيْلٍ عِزَّةٌ وأَمانُ
قَلْبٌ لأَفْرِيقْيا تَوالَى نَبْضُهُ وامْتَدَّ في كُلِّ الدُّنا شرْيانُ

يخاطبُ الشَّاعرُ طيورَ السُّودانِ في المهْجَر، إذ شَبَّهَ الدُّنيا بدَوْحَة كبيرة، وأَغْصانُها دوَلُ العَالم المُخْتَلفَة، والنَّاسُ طيورٌ مغرِّدةٌ على هذه الأَغْصانِ، ويطلبُ منْهُمْ أَنْ يَعْتَزُّوا بوطنهم، ثُمَّ يبدأُ بتعْريف السُّودان، فهُوَ الوَطَنُ الزَّاخرُ بالنُّجُوم الذينَ زَيَّنوا سماءَهُ عبرَ التَّاريخ، كبانْخي وطهْراقا والمَهديِّ وعلي دينار والأَزْهَريِّ وغيْرِهِمْ، ثُمَّ يُعَرِّجُ على طيبة أَهْله وسماحة تعامُلِهِمْ، والأَمان الذي يرافقُكَ في كُلِّ شبْر منْهُ، كَيْفَ لا وهُوَ قَلْبُ أَفْريقيا النَّابضُ الذي ضَخَّ الحَياةَ في كُلِّ بقاع الدُّنْيا، منذُ عهد كُوش ونبتة ومروي حتى العَصْر الحَديث.

لَنْ اسْتَطيعَ في هَذه العُجالَة أَنْ أُلْقي الضَّوءَ عَلَى كُلِّ قَصائد الدِّيوَان، ولا أَحْسَبُ نَفْسي ناقداً مُتَخَصِّصاً، ولَكنِّي قَصَدْتُ أَن أَعْكسَ صُورَةً مُشْرِقَةً للشِّعْر في السُّودان، ولا أَدَّعي بأَنَّ شعْرَ صالح خالٍ منَ العُيُوب، فالكَمالُ للّه، إذْ نَجِدُهُ - برَغْم براعَة تصويره، وروْعَة أُسْلُوبه، وجدَّة أَخْيلَته وصُوَرِه- يَخْلُطُ بَيْنَ بُحورِ الشِّعر، فَقَدْ تَجِدُ صَدْرَ البَيْت منْ بَحْر، وعَجُزَهُ منْ بَحْر آخَرَ، وكَمثال لذَلكَ في قَصيدَة (حَمامَة) وهيَ كَما أَسْلَفْتُ منْ بَحْر الكَامل يَقُولُ:

والطَّرْفُ أَدْعَجُ لَمَّاحٌ به حَوَرٌ جَلاَّهُ أَوَّلُ لَحْظها بالآخرِ٢٣

وكَمَا تَرَوْنَ فأَنَّ صَدْرَ هَذَا البَيْتِ مِنْ بَحْرِ البَسِيطِ وبَقِيَّةُ القَصيدَةِ مِنَ الكامِلِ، ولَقَدْ عَدَّلْتُهُ بَعْدَ مُوافَقَةِ الشَّاعِرِ لِيُصْبِحَ:

والطَّرْفُ أَدْعَجُ زانَهُ حَوَرٌ وقَدْ
جَلاَّهُ أَوَّلُ لَحْظِها بِالآخِرِ

والخَطْأُ دَرَجَةٌ في سُلَّمِ النَّجاحِ.

يَتَّضِحُ جَلِيًّا مِنْ هَذَا البَحْثِ المُتَواضِعِ أَهَمِّيَّةُ عِلْمَيِ العَرُوضِ والقافِيَةِ، إِذْ أَنَّهُما رُكْنانِ أَساسِيَّانِ في صِناعَةِ الشِّعْرِ، ومِن غَيْرِهِما يُصْبِحُ مُجَرَّدَ نَثْرٍ وإِنْ كانَ أُسْلُوبُهُ شاعِرِيًّا، وقَدْ نَجَحَ شاعِرُنا في التَّعامُلِ مَعَ هَذَيْنِ العِلْمَيْنِ بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ وإِنْ شابَتْ شِعْرَهُ بَعْضُ الشَّوائِبِ. الكُلُّ يَعْلَمُ أَنَّ الشِّعْرَ صِناعَةٌ تَقُومُ عَلَى المَوْهِبَةِ الفِطْرِيَّةِ - فهيَ الَّتي تَمْنَحُ إِنْتاجَ كُلِّ شاعِرٍ مَذاقاً يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ - والَّتي يَحْتاجُ صَقْلَها للدِّراسةِ والاطِّلاعِ، وذَلِكَ لِتَطْوِيرِ أَدَواتِ الشَّاعِرِ، وأَحْسَبُ أَنَّ السَّنُوسِيَّ قَدْ حَباهُ اللهُ مَلَكَةً يُحْسَدُ عَلَيْها، ولَكِنَّ انْغِماسَهُ في اللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ بِحُكْمِ العَمَلِ، جَعَلَهُ يَتَقاعَسُ قَلِيلاً عَنْ تَطْوِيرِ قُدُراتِهِ. كَما يَظْهَرُ تَأْثِيرُ البِيئَةِ والمُجْتَمَعِ مِنْ عاداتٍ وتَقالِيدَ في الشِّعْرِ بِدَرَجاتٍ مُتَفاوِتَةٍ مِنْ شاعِرٍ لآخَرَ، ومِنْ قَصِيدَةٍ لأُخْرَى فلذَلِكَ نَجِدُ القَضارِفُ حاضِرَةً في مُعْظَمِ قَصائِدِهِ، فَهُوَ يُصَوِّرُ بِيئَتَها بِدَرَجَةٍ تُثِيرُ الدَّهْشَةَ، إِذْ تَشْتَمُّ وأَنْتَ تَتَصَفَّحُ هَذَا الدِّيوانَ رائِحَةَ الدُّعاشِ، وتَرَى طُقُوسَ الفَرَحِ والتَّرَحِ والزِّراعَةِ والحَصادِ. أُسْلُوبُ شاعِرُنا هُوَ السَّهْلُ المُمْتَنِعُ، ويَمِيلُ لاسْتِعْمالِ المُفْرَداتِ ذاتِ الدَّلالَةِ الواضِحَةِ، كَما يَلْجَأُ للتَّصْوِيرِ بِدِقَّةٍ مُتَناهِيَةٍ، ويَمْتازُ شِعْرُهُ بالصُّوَرِ الجَمالِيَّةِ الغَيْرِ مَسْبُوقَةٍ، وإِذا مَالَ إِلَى الاقْتِباسِ فإِنَّه يَضَعُ بَصْمَتَهُ ؛ كَما يُدَبِّجُ قَصائِدَهُ بالجِناسِ والطِّباقِ والتَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ والتَّجْسِيمِ والتَّشْخِيصِ، ويُزَيِّنُها بالتَّشْبِيهِ والمَجازِ والاسْتِعارَةِ، وكُلِّ ضُرُوبِ البلاغَةِ.

مِنْ أَهَمِّ مُمَيِّزاتِ شِعْرِهِ البَساطَةُ والوُضُوحُ، ودِقَّةُ التَّصْوِيرِ وجزالَةُ الأُسْلُوبِ، ومَيْلُهُ الوَاضِحُ للتَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ، وخُلُوُّ شِعْرِهِ مِنَ التَّصْرِيعِ إِلَّا نادِراً، ووَلَعُهُ واهْتِمامُهُ الفائِقُ بالجَمالِ.

خُلاصَةُ هَذِهِ الدِّراسَةِ المُتَواضِعَةِ:

١/ إِنَّ الشِّعْرَ العَمُودِيَّ ما زالَ مُحْتَفِظاً بِأَلَقِهِ، وإِنْ زاحَمَهُ شِعْرُ التَّفْعِيلَةِ إِلَى حَدٍ كَبِيرٍ.

٢/ تُظْهِرُ أَهَمِّيَّةَ عِلْمَيِ العَرُوضِ والقافِيَةِ، وتُبَيِّنُ أَنَّ إِجادَةَ الشِّعْرِ العَمودِيِّ تُعِينُ عَلَى سَلامَةِ شِعْرِ التَّفْعِيلَةِ.

٣/ إِنَّ الأَخْيِلَةَ والصُّوَرَ ومُوسِيقَى الشِّعْرِ أَدَواتٌ لا يُمْكِنُ تَجاهُلُها عِنْدَ دِراسَةِ الشِّعْرِ.

٤/ إِنَّ الشَّاعِرَ مَوْضُوعُ الدِّراسَةِ يُجِيدُ الرَّسْمَ بالكَلِماتِ.

٥/ إِنَّ حواءَ الشِّعْرِ وَلُودٌ.

التَّوْصِياتُ:

١/ الاهْتِمامُ مِنْ قِبَلِ المَجْلِسِ بالشُّعَراءِ وذَلِكَ بِطِباعَةِ ونَشْرِ وتَوْزِيعِ مَنْتُوجِهِمْ.

٢/ اسْتِحْداثُ فَعالِيَّاتٍ يُشارِكُ فيها الشُّعَراءُ المَغْمُورُونَ.

كانَتْ هذه الوُرَيْقاتُ الَّتي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ سياحةً ومحاولةً خجولةً لإلقاءِ الضَّوءِ على ديوانِ (صَرْخَةُ ميلاد) لابنِ القَضارِفِ البَارِّ الأُسْتاذِ صالحِ سَنُوسِيَّ، وآملُ أَنْ أكونَ قدْ وُفِّقْتُ في ذلكَ واللهُ منْ وَرَاءِ القَصْدِ.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

مَصادِرُ البَحْثِ

١- المصدر السابق – ص ١٣-١٤.
٢- ديوان صرخة ميلاد أ. صالح سنوسي محمد علي – مطابع السودان للعملة المحدودة، ٢٠١٦م – ص١٥
٣ - ديوان عنترة تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي – ص ١٨
٤ - ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس – المحقق – محمد حسين – ص ٥٥
٥ - ديوان امرئِ القيس – اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي – ص ٤٨.
٦ - ديوان البحتري – جمعه واعتنى بشرحه حسن كامل الصِّيَرفي – ج ٢ – ص ١١٥٣ – دار المعارف مصر.
٧ - صرخة ميلاد – أ. صالح سنوسي محمد علي – شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ٢٠١٦م – ص ١٧.
٨- صرخة ميلاد أ. صالح سنوسي محمد علي – شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ٢٠١٦م – ص ١٩.
٩- المَصدر السابق – ص- ٦٢.
١٠ - المصدر السابق – ص ٢٣.
١١ - المصدر السابق – ص ٢٤.
١٢ - المصدر السابق – ص ٢٧.
١٣ - المصدر السابق – ص ٢٨.
١٤ - المصدر السابق – ص ٣٠.
١٥- المصدر السابق – ص ٣٣.
١٦ - ديوان الخنساءَ – اعتنى به وشَرحهُ حَمدو طَمَّاس – ص ٤٥.
١٧- ديوان صرخة ميلاد أ. صالح سنوسي محمد علي – شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ٢٠١٦م - ص ٣٥
١٨- المصدر السابق – ص ٣٩.
١٩- المصدر السابق – ص ٤٤
٢٠- المصدر السابق – ص ٥٢.<
٢١- المصدر السابق – ص- ٦٣.
٢٢- المصدر السابق – ص ٧١.
٢٣- المصدر السابق – ص ١٥.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2